الحوارية ـ مفهوم غولدمان عن البنية بسبب أنه ـ أي باختين ـ يدمج ما هو اجتماعي في مكونات النص الدالة، بحيث لا يفرق بين ما هو إديولوجي، وما هو لغوي. وإذا كان باختين يؤكد هذا الجانب ويبسط شرحه ـ بالفعل ـ في كتابه «الماركسية وفلسفة اللغة» فليس هناك اعتراض حول آرائه بصدد هذا الموضوع، ولكن هناك اعتراض شديد على مسألة التجاوز، وسأشرح بما فيه الكفاية سبب هذا الاعتراض، وأكتفي الآن بأن أقول:

إن «باختين» هنا لا يتجاوز غولدمان وإنما يوضح فقط جانباً لم يتوسع هذا في دراسته، كما أن غولدمان أولى عناية بالغة لجانبٍ لم يَلْتفِتْ إليه «باختين»، أو على الأصح، ألغاهُ من حسابه الخاص.

فغولدمان يتحدث عن البنية الأدبية دون أن يكون مفهومه عنها قابلاً لأن يُصبح إجرائياً، فهو مفهوم فضفاض وعام. إنه يقول فقط بوجود بنية داخلية في العمل الأدبي[78]، وإنه من الواجب على الناقد أن يحللها، ولكنه لا يجيب عن سؤالين هامين هما:

ـ ما هي طبيعة هذه البنية..؟

ـ ما هي الوسائل والأدوات التي تُمَكِّن من تحليلها..؟

أما غايته من وراء ما يسميه تحليل البنية الداخلية للعمل الروائي، فهي الوصول إلى تحديد البنية الدالة Sutructure Significative التي يمكن اعتبارها بمثابة عمق للنص Logos. إنه بهذا لا يلتفت كثيراً لتعددية المعاني وللتعارضات التي يحملها النص في ذاته، أو على الأصح إنه يُغْفِلُهَا متوجهاً فقط لاكتشاف الصياغة العامة التي تُعطي لكل تلك التعارضات دلالة ما. وهكذا يصبح عمق النص الذي هو البنية الدالة هو الشيء الأساسي المقصود بكل تحليل لما يسميه «غولدمان» البنية الداخلية للعمل الإبداعي الروائي.

ومن المعروف أن «غولدمان» بعد اكتشافه للبنية الدالة ينتقل إلى مجال المقارنة، بحيث يربط هذه البنية ببنية أوسع مُناظرة لها، يتلمس وجودها في الحقل الثقافي أو الإديولوجي. أما «باختين» فلا يفصل بين الأدب والحقول الثقافية والإديولوجية إذ يعتبر هذه الحقول كائنة في الابداع ذاته، وملتحمة (هكذا) بالمظهر اللساني فيه. لذلك فلا حاجة إلى إقامة مقارنة أو تناظر بين البنية الأدبية والبنية الإديولوجية أو الثقافية، ما دامت هذه كائنة في النص.

وهذه الفكرة في نظرنا على الأقل، لها أهميتها، ولها خطورتها من جانب آخر:

أما أهميتها فتكمن في أن «باختين» استطاع أن يكشف ما لم يستطع «غولدمان» التوصل إليه، وهو تحديد مفهوم البنية تحديداً دقيقاً. فعن السؤال: ما هي طبيعة البنية الأدبية؟

---

(78) L.. Goldmann, **Marxisme et sciences humaines** - Gallimard. 1970. P. 63.